

النصوص الدينية وموقفها من الشعر: دراسة تحليلية

Religious Texts and The Position of Poems: An Analytical Study

Teks-teks berunsur Agama dan Pendirian Al-Qur'ān terhadap Syair:
Kajian Analisis

زينة حسين عوضه القحطاني*

معهد مختار**

ملخص البحث:

ليس للغة في العالمين من الجلال والمهابة، والتقدير والقداسة ما للغة العربية بحكم ارتباطها بكتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقيامها بوشيجة القرى بين أوصال الأمة الإسلامية، واحتفاظها بترائها الإسلامي عبر قرونه الطويلة، وهي لغة العبادة في الدنيا، ولغة أهل الجنة في الآخرة، وهي اللغة الشاعرة التي لا تضاهيها لغة في تراكيب حروفها، وألفاظها، ورقة حواشيها وتجانس أنغامها، وقد عنيت الأمة بقضية الشعر، ومدح الخلفاء والوزراء والأمراء، وكان ذلك معروفا منذ فجر الإسلام، ولولا أن الله -تبارك وتعالى- قد أراد لهذه اللغة البقاء والاستمرار والخلود لكانت اليوم لغة دراسة. ومن هنا تنحصر إشكالية البحث في موقف القرآن الكريم من الشعر وذكر بعض الآيات التي وردت في بعض السور لتوضيح موقف القرآن، وتفسير الآيات التي تبين موقف القرآن من الشعر، وذكر موقف السنة المطهرة من الشعر، ونهيه صلى الله عليه وسلم عن الشعر، وبيان المواقف التي أعرض عنها الرسول صلى الله عليه وسلم لرواية الشعر الفاسد في حضرته،

* محاضرة في كلية التربية والآداب، جامعة نجران - السعودية.

** أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وذكر بعض المواقف التي شجع الرسول صلى الله عليه وسلم فيها على قول الشعر والاستماع إليه. والمنهج الذي سيسلكه هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي لموقف القرآن الكريم من قول الشعر، وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من قول الشعر والاستماع إليه ونهي عنه، وذكر بعض الآيات والأحاديث التي توضح موقف القرآن والسنة من قول الشعر.

الكلمات المفتاحية: القرآن – السنة – الموقف من الشعر – النموذج – التحليل.

Abstract

The paper presents the various authoritative sources of Islam with regard to the issue of poems. Sources from the Holy Quran which highlighted on the its stand on the issue of poem and the various prophetic traditions which consisted of the issue will be discussed and elaborated. The approach of the study is descriptive and analytical.

Keywords: Al-Quran– Prophetic Tradition– The Position on Poems– Sample– Analysis.

Abstrak:

Tidak terdapat bahasa lain di dunia ini yang lebih mulia, lebih tinggi kedudukannya serta lebih suci daripada bahasa Arab kerana hubungannya dengan Al-Qur'an dan Sunnah Nabi (SAW), kerana ia mengikat tali persaudaraan antara umat Islam, kerana ia bertanggungjawab memelihara sejarah warisan Islam selama beberapa kurun. Di dunia ia adalah bahasa ibadat, manakala di akhirat ia adalah bahasa ahli syurga, ia bahasa yang sensitif yang tidak menyamainya bahasa lain samada dari segi pembinaan huruf, perkataan, kehalusan rimanya dan keseragaman nadanya. Isu syair telah lama mendapat perhatian umat Islam, bermula daripada tema memuji pemerintah dan pembesar pada ketika awal kemunculan Islam. Jika tidak kerana kehendak Allah yang mahukan bahasa ini kekal dan hidup, sudah tentu ia akan menjadi sekadar bahan kajian pada hari ini. Daripada sini permasalahan kajian dibataskan dalam pendirian Al-Qur'an terhadap syair di mana akan diperbincangkan tentang sesetengah ayat daripada surah tertentu yang menyatakan tentang perkara ini serta tafsirannya, tentang pendirian sunnah serta larangan Nabi terhadap syair, beberapa situasi di mana Nabi menolak syair bernada jahat yang dibacakan di hadapannya dan menggalakkan syair dan baginda sendiri turut mendengarnya. Kaedah yang akan diguna pakai dalam kajian ini ialah analisa berbentuk diskriptif terhadap pendirian Al-Qur'an dan Nabi tentang syair.

Kata kunci: Al-Quran– Sunnah– Pendirian Tentang Syair– Contoh– Analisa.

مقدمة:

عرّف القدماء الشعر في المعاجم، إذ قالوا: شَعَرَ: فلان - شِعْراً: قال: الشَّعْر. ويقال: شَعَرَ له: قال له شعراً. وشعر به شعوراً أحس به وعَلِمَ. وشعر فلاناً: غلبه في الشعر. والشعر شعراً: بطَّنه بالشعر. ويقال: (شَعَرَ) - شعراً: كثر شعره وطال. فهو أشعر وهي شعراء ويقال: شعراً أيضاً. ويقال: شَعَرَ فلان - شِعْراً: اكتسب ملكة الشعر فأجاده.^١

الشعر - في القول المشهور - كلام ذو معنى موزون مقفى، مقصود، وهذا هو أبسط تعريف للشعر وهو الذي يخطر ببالنا عندما نسمع هذه الكلمة، فإنه كلام أي ألفاظ ذات معنى كُسيِت حلة من الوزن والقافية.

قال عنه ابن منظور: بأنه منظوم القول غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً، وقال الفيومي: إن الشعر العربي هو: النظم الموزون، وحده ما تركَّب تركباً متعاضداً، وكان مقفى موزوناً، مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو بعضها فلا يسمى (شِعْراً) ولا يُسمَّى قائله (شاعراً)، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنة موزوناً، فليس بشعر لعدم القصد والتقفية، وكذلك ما يجري على ألسنة الناس من غير قصد؛ لأنه مأخوذ من (شعرت) إذا فطنت وعلمت، وسمي شاعراً؛ لفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده، فكأنه لم يشعر به، وعلى هذا فإن الشعر يشترط فيه أربعة أركان: المعنى، والوزن، والقافية، والقصد، فالشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرّواية والذكاء.^٢

آيات توضح موقف القرآن الكريم من الشعر:

إذا تتبعنا ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المحكمات وتدبرناها، وجدنا أن سورة الشعراء قد انفردت بتوضيح موقف القرآن من الشعر والشعراء، كما أن هناك إشارات إلى هذا الموضوع في مواضع أخرى متفرقة، تأتي على هذا النحو:

١. قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِزْنَا نَبَايَةً كَمَا أُنْزِلَ

الْأَوَّلُونَ﴾^٣

وفي هذه الآية إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم، واختلافهم فيما يصفون به القرآن، وحيرتهم فيه، وضلالهم عنه، فتارة يجعلونه سحراً، وتارة يجعلونه شعراً، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفترى، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْنِئْ بِشَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾، يعنون ناقة صالح، وآيات موسى وعيسى.^٤

٢. قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.^٥

قال ابن حجر العسقلاني في تفسير هذه الآية الكريمة إنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم (يعني كفار قريش) شاعر وروي أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو من الشعر والشعراء، إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين والتقفية وأين المعاني التي ينتهجها الشعراء من معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأصاليه؟ إذاً لا مناسبة بينه وبين الشعراء إذا حَقَّقْتَ، اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذاك كذلك.

(وما ينبغي له) وما يصح ولا يتطلب لو طلبه، أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يأت له ولم يسهل كما جعلناه أمياً لا يهتدي للخط ولا يحسنه؛ لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض، وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير الكلام، ولكنه كان لا يتأتى له وقوله:

أنا النبي لا كـذب أنا ابن عبد المطلب

فعلى الرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن شاعراً ولا يقول الشعر، فقد جرى على لسانه الشريف كلام جاء على وزن الشعر، وذلك حين كان يمشي وأصابه حجر فعثر، فدميت إصبعه، فقال: ^٦ وقوله:

هل أنت إلا إصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال يوم حنين، لما تفرق عنه كثير من أصحابه، فهجم بمفرده مع بضع نفرٍ ثبتوا معه في غزو حنين نحو العدو، وهو ينادي:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^٧

وعقب ابن عبد ربه على هذه الأقوال، فنفى عنها صفة الشعر، حين قال: " فهذا من المنشور الذي يوافق المنظوم، ومثل هذا في كلام الناس كثير، يأخذه الوزن".^٨
وقال النسفي: (وما علمناه الشعر) أي وما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم قول الشعراء أو ما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر. فقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وقوله:

هل أنت إلا إصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت
فما هو من جنس الكلام الذي كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزوناً كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعراً؛ لأن صاحبه لم يقصد الوزن. ولا بد منه على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون، وفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب. ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال: "إن هو" أي العلم "إلا ذكر وقرآن مبين" أي وما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن، وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين.^٩

وقال سيد قطب: "جاءت في صورتها هذه للرد على ما كان يخفى على كبراء قريش أن الأمر ليس كذلك. وأن ما جاءهم من محمد صلى الله عليه وسلم غير معهود في لغتهم، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر إنما كان هذا طرفاً من حرب الدعاية التي شنوها على الدين، وينفي الله سبحانه وتعالى صفة الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم،

وما ينبغي له فالشعر منهج غير منهج النبوة والشعر انفعال وتعبير من هذا الانفعال والانفعال يتقلب من حال إلى حال، والنبوة وحي على منهج ثابت على صراط مستقيم والنبوة اتصال دائم بالله، وتلق مباشرة عن وحي الله، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله".^{١٠}

٣. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتَنِ الشَّاعِرِ مَجْنُونٍ﴾.^{١١}

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتَنِ الشَّاعِرِ مَجْنُونٍ﴾ أي إذا دعوا إلى التوحيد: أنتك عبادة الأوثان لقول شاعر مجنون؟ يعنون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى رداً عليهم ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾^{١٢} أي ليس الأمر كما يفترون بل جاءهم ما جاء به الرسل قبله. قال أبو حيان: جمع المشركون بين إنكار الوحانية، وإنكار الرسالة، ثم خلطوا في كلامهم بقولهم: "شاعر مجنون".^{١٣}

ولما أخبر أنهم استكبروا على توحيد الإله، جاء الاستفهام الإنكاري مؤكداً: ﴿إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتَنِ﴾ أي عبادتها، وكان تأكيد أصل الكلام للإشارة إلى أن تكذيبهم صادر منهم مع علمهم بأن كل عالم بحالهم يراهم وأن ما هم عليه عناد وقوله ﴿لِشَّاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ فإن الجنون لا نظام معه، والشعر يحتاج إلى عقل رصين وقصد قديم، وطبع في الوزن سليم، أو للإشارة إلى أن إنكار المؤكد إنكار لغيره.^{١٤}

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتَنِ الشَّاعِرِ مَجْنُونٍ﴾،^{١٥} أي ويقولون عندما يدعون إلى التوحيد: أنتك عبادة الأوثان لقول شاعر مجنون؟ يعنون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى رداً عليهم ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾،^{١٦} أي ليس الأمر كما يفترون بل جاءهم محمد بالتوحيد والإسلام الذي هو الحق الأبلج، وجاء بمثل ما جاء به الرسل قبله. قال أبو حيان: جمع المشركون بين إنكار الوحانية، وإنكار الرسالة. ثم خلطوا في كلامهم بقولهم شاعر مجنون فإن الشاعر عنده من الفهم والحذق ما ينظم به المعاني العربية، ويسوقها في قالب الألفاظ البديعة، ومن كان مجنوناً لا يصل إلى شيء من ذلك، فكلامهم تخلط وهذيان.^{١٧}

وأما التكذيب بالنبوة فهو قولهم: ﴿أَيْنَا لَتَارْكُوَاءَ إِلَهَتِنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ ويعنون محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وتقرير هذا الكلام أنه جاء بالدين الحق؛ لأنه ثبت بالعقل أنه تعالى منزّه عن الضد والند والشريك، فلما جاء محمد -صلى الله عليه وسلم- بتقرير هذه المعاني كان مجيئه بالدين الحق.^{١٨}

٤. قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.^{١٩}

ويذكر لنا ابن كثير في تفسيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن. قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.^{٢٠} قال فقلت: كاهن، قال فقرأ: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤١﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾،^{٢١} إلى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.^{٢٢}

ومع ذلك كله لم يستجب مشركو قريش لقول الله تعالى ونفيه صفة الشعر عن رسوله الكريم، فاجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: قائل منهم: احبسوه في وثاق وتربصوا به الموت حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء فنستريح منه، فإنما هو كأحدهم؛ وقد ذكر قتبية والرازي نصاً مفاده: " أن عمرو بن العاص كان قد هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل دخول الإسلام فقال: عليه السلام: " اللهم إن عمرو بن العاص قد هجاني وهو يعلم أي لست بشاعر... ".^{٢٣}

ورداً على ذلك التحدي والتربص والتعنّت بل والكذب من جانب المشركين ضد رسول الله عليه السلام، أنزل الله في ذلك:

٥. قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْهُمْ أَلَمْ يَنْعَمْتَ رَبُّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّئُ بِهِ رِبِّبَ الْمُنُونِ﴾.^{٢٤}

إن نفي صفة الشعر عن كتاب الله الكريم لا يصيب الشعر بأي سوء، ولا يغض من قدره وسيلة من وسائل التعبير اللغوي عند العرب؛ إذ الأمر لا يعدو كونه إقراراً لواقع القرآن وتأكيده لذاته ولمصدره الإلهي، ورداً على مزاعم المشركين وافتراءاتهم. وقد لاحظ بعض الباحثين أن لتنزيه القرآن عن الشعر وبعده عن طرائقه أسباباً، منها ما في أذهان العرب من قرن الشعر بالشیطنة والشرّ وصلة الشعر بالموسيقى والغناء، ولمكان القرآن من التحدي، ولأن روح الشعر بعيدة عن الالتزام الروحي، في حين أن القرآن دعوة روحية ملتزمة بمنهج خالفت فيه القافية، فبعدت عن مناهجه وطرائقه.^{٢٥}

٦. قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾.^{٢٦}

وقوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن؛ وكذا قال مجاهد رحمه الله، وقال عكرمة: كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس، ولهذا فئام من الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾. وقال الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خذوا الشيطان -أو أمسكوا الشيطان- لأن يمتلي جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلي شعراً).^{٢٧}

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ قال ابن عباس: في كل لغو يخوضون، وقال الضحاك عن ابن عباس: في كل فن من الكلام، وكذا قال مجاهد وغيره، وقال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتمة فلان ومرة في مديحه فلان، وقال قتادة: الشاعر يمدح قوماً بباطل ويذم قوماً بباطل، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: كان رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهم من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وأتتهما تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فقال الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه، وهذا الذي قال ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر، فإن الشعراء يتبححون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيستكثرون بما ليس لهم، ولهذا جاء في الحديث: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به) والمراد من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر؛ لأن حاله منافٍ لحالهم من وجوه ظاهرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾^{٢٨} وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^{٢٩} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وهكذا قال هنا ﴿وَلَهُ نُنْزِلُ رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿١٣٨﴾ إلى أن قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿١٣٩﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٤٠﴾ يُلقُونَ السَّمْعَ وَآكُثْرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿١٤١﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٤٣﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية. ^{٣٣} قال محمد بن إسحاق: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ييكون قالوا: قد علم الله حين أنزل هذا الآية أنا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: (أنتم)، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: (أنتم)، ﴿وَأَنصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ قال: (أنتم). ^{٣٤}

وروي أيضاً عن عروة قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ قال عبد الله بن رواحه: يا رسول الله قد علم الله أني منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيره واحد أن هذا استثناء مما تقدم. ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

أَصْلِحَتْ وَذَكَّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ۖ. قيل: معناه ذكروا الله في كلامهم، وقيل: في شعرهم، وكلاهما صحيح مكفر لما سبق، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾ قال ابن عباس: يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين، وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان: (اهجهم -أو قال- هاجهم وجبريل معك). وقال الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترموهم به نضح النبل).^{٣٥}

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ الآية،^{٣٦} وفي الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)، قال قتادة: يعني من الشعراء وغيرهم قليل: والمراد بهم أهل مكة، وقيل الذين ظلموا من المشركين، والصحيح أن هذه الآية عامة لكل ظالم، كما قال ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكفار، وينتهي الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن يجر ويذل فلان أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.^{٣٧}

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.^{٣٨}

استثنى الشعراء المؤمنون الصالحون الذين يكثر ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة، والزهد والآداب الحسنة، ومُدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة، وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطحون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاءهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم. قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ

أَقُولُ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ۖ^{٣٩} وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾^{٤٠} وعن عمر بن عبيد: أن رجلاً من العلوية قال له: إن صدري ليحيش بالشعر، فقال: فما يمنعك منه فيما لا بأس به؟ والقول فيه: أن الشعر باب من الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقيحه كقيح الكلام. وقيل: المراد بالمستئين: عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، والكعبان: كعب بن مالك، وكعب بن زهير، والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاء قريش،^{٤١} وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "اهجهم: فو الذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من وقع النبل". وفي رواية عن أنس قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول: خلوا بني الكفار عن سبيله، اليوم نضربكم على تأويله، ضرباً يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله. فقال عمر: يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر، فقال: خل عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل.^{٤٢} فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاحر عن رسول الله".^{٤٣} وعن عائشة أيضاً: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله".^{٤٤}

موقف السنة المطهرة من الشعر:

إذا نظرنا في السنة النبوية المطهرة في الأحاديث الصحيحة خاصة، وجدنا السنة تتخذ مواقف معينة تؤيد وتؤكد موقف القرآن الكريم من الشعر. وتظهر الأحاديث النبوية مواقف الرسول الكريم من الشعر. فمن ناحية كان الرسول الكريم يذم الشعر. وهو من ناحية ثانية يعجب

بالشعر ويستمتع إليه ويثني على صاحبه. وهو في ناحية ثالثة يقف منه موقف الحذر فيقوم الشعر ويوجهه الوجهة الإسلامية الصحيحة.

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر تجسيدا لموقف كتاب الله من هذا الفن الكلامي، فهو ليس بشاعر ولا ينبغي أن يكون كذلك. وكما عصمه سبحانه وتعالى من عبادة الأوثان، فقد بغض إليه قول الشعر ونظمه. فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال مجيبا الرجل العامري الذي كان يسأله عن حقيقة نبوته: "فلما نشأت بُغِضْتُ إِلَيَّ أوثان قريش وبُغِضَ إِلَيَّ الشعر".^{٤٥} وأورد السيوطي تعليلاً دينياً لبعد الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشعر، ربط فيه بين واقع الشعر كضرب من الملاهي وبين هجر الرسول له مع قدرته عليه، فقال: "إن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسيم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنا من دد ولا دد مئى".^{٤٦} ويبدو أن تنزيه رب العالمين لرسوله الكريم عن قول الشعر جاء لدفع الظنة عنه لا لعب في ذات الشعر. يقول صاحب العُمدة في هذا المجال: "ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعرٍ غَضَّ من الشعر لكانت أميته غَضاً من الكتابة، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد".^{٤٧}

وذكر صاحب العقد الفريد أن الخليفة العباسي المأمون قال لأبي يعلى المنقري يوماً: "بلغني أنك أمئى، وأنت لا تقيم الشعر، وأنتك تلحن في كلامك. فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فرمما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً ولا ينشد الشعر. فردّ عليه المأمون باستهجان واستنكار قائلاً: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدني عيباً رابعاً، وهو الجهل. إن ذلك في النبي فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقیصة، وإنما منع ذلك عن النبي لنفي الظنة عنه، لا لعب في الشعر والكتابة".^{٤٨}

وعلى الرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن شاعراً ولا يقول الشعر، فقد جرى على لسانه الشريف كلام جاء على وزن الشعر، وذلك حين كان يمشي وأصابه حجر فعثر، فدميت إصبعه، فقال:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ؟

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال يوم حنين، لما تفرق عنه كثير من أصحابه فهجم بمفرده مع بضع نفر ثبتوا معه في غزوة حنين نحو العدو، وهو ينادي:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أنا ابن عبد المطلب

وعقّب ابن عبد ربه على هذه الأقوال، فنفى عنها صفة الشعر، حين قال: "فهذا من المنشور الذي يوافق المنظوم، ومثل هذا في كلام الناس كثير، يأخذه الوزن".^{٤٩}

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر:

أ. استماع الرسول إلى الشعر وميله إليه:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع من الشعر ما حسن معناه، بل ويستنشد به ويستزيد منه؛ فمن ذلك ما رواه: عمر بن الشريد بن سويد الثقفي عن أبيه قال: "رَدِفَتْ معك من شعر أمية بن الصلت شيء؟ فقلت: نعم، قال: هيه؛ فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت".^{٥٠}

وفي معنى الحديث قال الإمام النووي: "ومقصود الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استحسّن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه، وكونه غالباً على الإنسان، فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه". وقال القرطبي: وهذا دليل على جواز حفظ الأشعار المتضمنة للحكمة والمعاني المستحسنة شرعاً وعقلاً وطبعاً، إنما استكثر النبي صلى الله عليه وسلم من شعر أمية؛ لأنه كان حكيماً، وقوله صلى الله عليه وسلم: "وكاد أمية بن أبي

الصلت أن يسلم".^{٥١} وروي عن أنس بن مالك قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، التي يقول فيها:

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مُحْرَقًا لَاعِبٍ

فالتفت إليه رسول الله عليه السلام فقال: (هل كان كما ذكر؟). فشهد له ثابت بن قيس بن شماس، وقال: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد لقد خرج إلينا يوم سابع عُرسه، عليه غلالة وملحفة مورّسة، فجالدنا كما ذكر.^{٥٢}

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء سنة سبع، وكان عبد الله بن رواحة أخذًا بخطام ناقته، وينشد بين يديه:

خلوا بني الكفار عن سبيله	خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقليله	أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله	كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقليله	ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر! فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم: (خَلَّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل).^{٥٣}

هناك حالات أخرى كان الشعراء أنفسهم يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستعطفونه أو يستنجدون به في أمر من الأمور، فيستمع إليهم ويلبي مطالبهم، فمن ذلك ما كان منه حينما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، خلافاً للميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج شاعرهم عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فوقف عليه وهو جالس بين أصحابه في المسجد، فقال:

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أئينا وأبييه الأتلا
قد كنتم ولداً وكننا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نُصرت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول الله عليه السلام عنان من السماء. فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب. بل يذهب صاحب الجمهرة إلى أبعد من التأثر فيروي عن سعيد بن المسيب: "قدمت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر إلى السحابة قد بعثها الله تعالى فقال: والذي بعثني بالحق نبياً، إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب، فخرج بمن معه لنصرتهم".

ب. نهيه عليه الصلاة والسلام عن الشعر:

كان من الطبيعي أن يتضح موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- من نوع معين من الشعر فيذمه وفقاً لموقف القرآن الكريم من ذلك. فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن لون معين منه وعن موضوعات خاصة لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة. ومن الطبيعي أن ينصرف عن شعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يؤذي النفوس ويبعث الضغائن بين المسلمين، وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق مع الفضائل ويعين على الرذائل: فكل هذه الألوان من الشعر تخالف المبادئ التي قرر الإسلام أن تكون أسس مجتمعه الجديد.^{٥٤}

ويؤكد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- موقف القرآن الكريم من ذم بعض الشعر والشعراء، وردت أحاديث عنه عليه السلام في ذلك. منها ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لأن يمتلى جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرٌ من أن يمتلى شعراً)).^{٥٥}

وقد ذهب فهم بعض العلماء إلى أن هذا الحديث ورد في ذم الشعر مطلقاً، وتعلقوا بما ورد في صحيح مسلم مما قد يكون سبباً للحديث، حيث جاء في روايته ما نصه: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالعرج، إذ عرض شاعر ينشد؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا الشيطان -أو امسكوا الشيطان- لئن يمتلي جوف رجل قيحاً خيراً له من أن يمتلي شعراً).^{٥٦}

وقد حكى الإمام النووي القول المتقدم، وعالجه برد قوي، حيث جاء في كلامه رحمه الله ما نصه: "استدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقاً، قليله وكثيره، وإن كان لا فحش فيه، وتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم: "خذوا الشيطان"، وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه، وقالوا: هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح. وهذا هو الصواب؛ فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر واستنشدته وأمره به حسان في هجاء المشركين، وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش ونحوه. وأما تسمية هذا الرجل الذي سمعه ينشد (شيطاناً) فلعله كان كافراً، أو كان الشعر هو الأغلب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم".^{٥٧}

روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشعر بمنزلة الكلام، حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام). وقد قال أيضاً: (إنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب).^{٥٨}

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: (ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون؛ فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره).

ج. مدحه عليه الصلاة والسلام لقول الشعر وما تمثل به من الشعر

عن أبي كعب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من الشعر لحكمة).^{٥٩}

وفي رواية أبي داود: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حُكماً).^{٦٠} إن المتأمل في هذا الحديث الشريف يدرك ثناء النبي عليه السلام على الشعر، كما يشعر في المقابل بتوجيه رشيد لمضموناته؛ فقد نبه عليه الصلاة

والسلام المسلم إلى أهمية الشعر، وأن فيه قيمةً سامية، وأكد عليه الصلاة والسلام قوله ذلك باستعمال حرف التوكيد (إن)، وذلك حتى يزيد الأمر في النفس ثباتاً واستقراراً.

ومن تدبر الأشعار وقلب النظر فيها، يجد أن منها ما تكون فيه حكم صائبة، وعبر بانية، تزكي النفوس، وتشحذ الهمم، كما أن فيها ذكراً للخير وترغيباً فيه، وتعريضاً بالشّر وتحذيراً منه، وذلك مما يبني المروءة، ويزكي الرجولة، ويجعل الفضيلة حية سائدة، والرديلة منهزمة ميتة. ولقد ذكرت مصادر الأدب واللغة هذا الحديث مشفوعاً بقصة مشهورة رددتها تلك المصادر. فقد روى: أن أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جرح في غزوة من الغزوات، وكان الدم يسيل من جرحه دون انقطاع، ولم ينفع فيه ضماد، حتى جاء حسان بن ثابت فقال: ائتوني بكافور. فوضع الكافور على الجرح فجف الدم، ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت: من أين اقتبست هذا يا حسان؟ قال من قول الشاعر:

فكرت ليلة وصلها في هجرها فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفقت أمسح مقلتي بخدها إذ عادة الكافور إمساك الدم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من الشعر لحكمة).^{٦١}

وأما موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- من الشعر الصادر عن الشعراء المسلمين فيبدو واضحاً جلياً فيما كان يفعله -صلى الله عليه وسلم- مع شعراء الدعوة الإسلامية إذا ما بدر منهم، أو لوحظ عليهم خروج عن المنهج الإسلامي في تقصيد القصيد. وكان عليه السلام يوجه ويحذر وينبه شعراء المسلمين بما يجب عليهم تركه إذا ما أحسوا في شعرهم بعض الخروج عن القاعدة الإسلامية في إنشاد الشعر. ولكن على الرغم من ذلك شجع الرسول الشعراء المسلمين، واستنهض همهم على قول الشعر الجيد فقال: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين).^{٦٢} والرسول الكريم كان يوجه الشعراء إلى أن يتمثلوا في شعرهم

المفاهيم الإسلامية والقيم الجديدة؛ لأن الإسلام كان ثورة غيرت كثيراً من نظم الجاهلية ومفاهيمها، وأقامت مثلاً وقيماً جديدة.

د. فيما أمتثل به الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر

أما بخصوص رواية الشعر فقد تواترت الأخبار على أن النبي محمداً -عليه السلام- لم يرو بيت شعر كاملاً قط، إلا أنه روى أشطار أبيات، ونحن نعلم إن شطر البيت لا يتحقق فيه معنى الشعر وواقعه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد): ألا كل شيء ما خلا الله باطل. وفي رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب: كلمة لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل).^{٦٣}

وكان النبي -صلى عليه وسلم- يتمثل ببيت الشعر دون أن يقيم وزنه، كما فعل بيت طرفة بن العبد. فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله وأوله آخره، فقد قرأ الشطر الثاني من البيت:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار ما لم يزود
أي ستبدي لك الأيام، كما أبدت لغيرك، ويأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان وأحوال البشر. وقيل أيضاً: إنه تمثل بصدر بيت سحيم عبد بني الحسحاس.

كفى بالإسلام والشيب ناهياً.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما قال: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً.

فرد الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إني لست بشاعر ولا ينبغي لي). ويستدرك أبو بكر حينما يتذكر قوله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) فيقول: "بلى يا رسول الله، أشهد أنك رسول الله"^{٦٤} ويتكرر الأمر في مناسبة ثانية، وذلك حين أتاه العباس بن مرداس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت القائل:

فَأَصْبَحَ نَهْـيًى وَنَهْـبُ الْعِيْبِ ————— دِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعَيْنِـةِ)

فيقول أبو بكر: بين عيينة والأقرع. فقال الرسول عليه السلام: (هما واحد) فقال أبو بكر: "أشهد أنك كما قال الله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له).^{٦٥}

وكان إذا رغب في سماع شيء من شعر شاعر، يبدأ بالكلمة الأولى ليكمل الشاعر بقية البيت أو الأبيات. فقد روي أن عبد الله بن رواحة استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرد على شاعر المشركين أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب الذي نال من المسلمين وأعراضهم، فقال له الرسول عليه السلام: (أأنت الذي تقول: فثبت الله؟. ولم يتم رواية البيت: فقال ابن رواحة: نعم، يا رسول الله، أنا الذي أقول:

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبت موسى ونصرا كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم أني ثابت البصر

فقال الرسول عليه السلام: (وأنت فعل بك مثل هذا).

وإذا كانت الروايات التي وقعنا عليها تؤكد أن الرسول عليه السلام لم يرو الشعر، ولكن ما ورد في غزوة الأحزاب، يقول إنه عليه السلام كان يرتجز بأبيات ابن رواحة. فلقد حدث البراء بن عازب رضي الله عنه فقال: (لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر- فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصددقنا ولا صـلينا
فأنزلن سـكينة علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا

قال: ثم يمد صوته بأخرها).^{٦٦}

ومن ذلك أيضاً حديث أنس رضي الله عنه حيث قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبید يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً^{٦٧}

الخاتمة:

استعرض هذا البحث في طياته العديد من المواضيع ومن أبرزها موقف القرآن الكريم من الشعر وتفسير بعض الآيات الكريمات، وموقف السنة المطهرة من الشعر، واستعرض هذا البحث موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ومدحه له ونهيه عن قول الشعر وذكر بعض المواقف التي تمثل بها النبي صلى الله عليه وسلم من قول الشعر وما استمع إليه وما أنشده من بعض الأشعار التي لا يعدها بعض النقاد إلا كلام منشور ليس له وزن ولا قافية.

هوامش البحث:

^١ مصطفى، إبراهيم، وعبد القادر، حامد، والزيات، أحمد حسن، والنجار، محمد علي، المعجم الوسيط، ط ١، (استانبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٧٢م)، ج ١، مادة (لغا) .

^٢ انظر ما ذكرناه من أقوال في كتاب: غنيم، محمد أبو الفتح، ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر الأدبي، الخميس ٣ فبراير ٢٠١١م.

^٣ سورة الأنبياء، الآية ٥.

^٤ ابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، (بيروت: دار القرآن الكريم، د.ت)، ج ٢، ص ٥٠٢.

^٥ سورة يس، الآية ٦٩.

^٦ ناصيف، منصور علي، التاج الجامع للأصول، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٦م)، ج ٥، ص ٢٨٠.

^٧ العجلوني، محمد بن إسماعيل، كشف الخفاء، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٥١هـ)، رقم ٦٢٤، وروى هذا الحديث البخاري، في باب قول الله تعالى: (ويوم نحني إذ أعجبكم كثرتمكم)، ٩٩/٥، ومسلم في الجهاد برقم: ١٧٧٦، باب غزوة حنين.

^٨ الخوارزمي، أبو القاسم جبار الله محمد بن عمر الزمخشري، تخريج الأحاديث للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (الرياض: مكتبة المعارف، د.ت)؛ وانظر: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩م)، ج ٥، ص ٢٨٣.

^٩ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ج ٣، ص ١٢-١٣.

^{١٠} قطب، سيد، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣م)، ج ٥، ص ٢٤٧.

^{١١} سورة الصافات، الآية ٣٦.

^{١٢} سورة الصافات، الآية ٣٧.

^{١٣} حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط ٦، (القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٧٨م)، ج ٢١، ص ٥٠٨.

^{١٤} البقاعي، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط ١، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ج ٦، ص ٣٩٨.

^{١٥} سورة الصافات، الآية ٣٦.

^{١٦} سورة الصافات، الآية ٣٧.

^{١٧} الصابوني، محمد علي، صفوت التفاسير، (بيروت: لبنان، دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ج ٣، ص ٥٢٥.

^{١٨} الشافعي، الإمام فخر الدين محمد، التفسير الكبير، ط ١، (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ج ١٣، ص ١١٨.

^{١٩} سورة الحاقة، الآية ٤١.

^{٢٠} سورة الحاقة، الآية ٤٠-٤١.

^{٢١} سورة الحاقة، الآية ٤٢-٤٣.

^{٢٢} ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٥٤٦.

^{٢٣} الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، (القاهرة: ١٩٥٧م).

^{٢٤} سورة الطور، الآية ٢٩-٣٠.

^{٢٥} الحامد، عبد الله، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، (الرياض، ١٩٨١م)، ص ١٢٦-١٢٧.

^{٢٦} سورة الشعراء، الآية ٢٢٤-٢٢٧.

- ^{٢٧} تفرد به البخاري، ورواه مسلم قريباً منه. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، الراوي: عبد الله بن عباس، في كتاب الكامل في الضعفاء، الرقم ٢٨٠/٧، وخلاصة حكم المحدث فيه محمد بن السائب الكلبي حديثه فيه مناكير واشتهر به فيما بين الضعفاء يكتب حديثه؛ وفي رواية أخرى عن أبي هريرة: "لأن يمتلي جوف أحدكم قيحا يريه له خير من أن يمتلي شعرا"، الراوي: أبو هريرة، والمحدث: أبو داود، في كتاب سنن أبي داود، برقم ٥٠٠٩.
- ^{٢٨} سورة يس، الآية ٦٩.
- ^{٢٩} سورة الحاقة، الآية ٤٠-٤٣.
- ^{٣٠} سورة الشعراء، الآية ١٩٢-١٩٥.
- ^{٣١} سورة الشعراء، الآية ٢١٠-٢١٢.
- ^{٣٢} سورة الشعراء، الآية ٢٢١-٢٢٦.
- ^{٣٣} سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.
- ^{٣٤} رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق، الراوي المحدث: ابن حجر العسقلاني، في كتاب: فتح الباري لابن حجر، برقم: ٥٥٥/١٠، وحكمه، مرسل.
- ^{٣٥} أخرجه الإمام أحمد في المسند، الراوي: كعب بن مالك، المحدث: ابن مفلح، في كتاب: الآداب الشرعية، برقم: ٩٧/٢، والراوي: كعب بن مالك، المحدث الألباني، في كتاب: السلسلة الصحيحة، ١٦٣١.
- ^{٣٦} سورة غافر، الآية ٥٢.
- ^{٣٧} ابن كثير، مختصر تفسير بن كثير، (لاط، د. ت)، ج ٢، ص ٢٢١، ص ٢٢٧.
- ^{٣٨} سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.
- ^{٣٩} سورة النساء، الآية ١٤٨.
- ^{٤٠} سورة البقرة، الآية ١٩٤.
- ^{٤١} الزمخشري، جاد الله محمود، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي)، ج ٣، ص ٥٥١.
- ^{٤٢} أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: " لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ماذا ترى في الشعراء؟ فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه. والذي نفس محمد بيده لكانما تنضحونهم بالنبل؛ الراوي: أنس بن مالك، المحدث: ابن حجر العسقلاني، في كتاب الإصابة، الرقم ٣٠٧/٢، وإسناده حسن.
- ^{٤٣} الحاكم، أبو عبد الله، المستدرک، ج ٣، ص ٤٨٧، ذكر مناقب حسان بن ثابت. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه).
- ^{٤٤} صحيح مسلم، ج ١٦، ص ٤٩.

- ^{٤٥} الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: لبنان، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٧هـ)، ج ١، ص ٥٧٥.
- ^{٤٦} السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: عيسى البابي الحلبي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د. ت)، ج ٢، ٤٧٠، والدد: اللهو واللعب.
- ^{٤٧} ابن رشيقي القيرواني، أبو علي الحسن، **العمدة**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: طبعة الحجازي، ١٩٣٤م)، ج ١، ص ٩.
- ^{٤٨} ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. **العقد الفريد**، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م)، ج ٣، ص ٣٩٨.
- ^{٤٩} المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٨٣.
- ^{٥٠} أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الشعر، برقم: ٢٢٥٥.
- ^{٥١} الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير**، ج ١٩، ص ٢٥٠.
- ^{٥٢} الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **كتاب الأغاني**، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م)، ج ٣، ص ٧-٨.
- ^{٥٣} ابن هشام، عبد الملك الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق: السقا، والأبياري وشلي، (القاهرة: طبعة البابي الحلبي، ١٩٥٥م)، ج ٢، ص ٣٧١.
- ^{٥٤} العاني، سامي مكي. **دراسات في الأدب الإسلامي**، (بغداد، ١٣٩٥م)، ص ١٥.
- ^{٥٥} رواه البخاري في صحيحه ١٠٩/٧، في كتاب الأدب، ومسلم في صحيحه في الشعر (٢٢٥٧)، وأبو داود في سننه (في الأدب: ٥٠٠٩)، والترمذي في سننه في كتاب الأدب برقم (٢٨٥٥).
- ^{٥٦} صحيح مسلم، في كتاب الشعر، رقم الحديث: ٢٢٥٩.
- ^{٥٧} صحيح مسلم، شرح النووي، ١٥/ ١٤.
- ^{٥٨} ابن رشيقي القيرواني، أبو علي الحسن، **العمدة**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة، طبعة الحجازي، ١٩٣٤م)، ج ١، ص ٢٧.
- ^{٥٩} رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (١٠٧/٧)؛ وأبو داود في سننه في كتاب الأدب (٥٠١٠).
- ^{٦٠} رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، برقم (٥٠١١) باب ما جاء في الشعر. وقال عنه مخرج أحاديث جامع الأصول عبد القادر الأرناؤوط ما نصه: "وهو حديث صحيح". انظر هامش جامع الأصول (١٦٤/٥).
- ^{٦١} أبو الخطاب، محمد. **جمهرة أشعار العرب**، (طبعة بولاق، ١٣٠٨هـ)، ص ١٢.
- ^{٦٢} ابن رشيقي، **العمدة**، ج ١، ص ٣٠.
- ^{٦٣} رواه البخاري في صحيحه، باب ما لا يجوز من الشعر والرجز: ج ٧، ص ١٠٧، ومسلم في الشعر برقم: ٢٢٥٦.
- ^{٦٤} ابن هشام، عبد الملك الحميري، **السيرة النبوية**، ج ٢، ص ٤٩٤.
- ^{٦٥} المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٦ وما بعدها.

^{٦٦} رواه البخاري في صحيحه، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، ٢٥/٤، ٤٧/٥، رواه مسلم في الجهاد، برقم ١٨٠٣، باب غزوة الخندق.

^{٦٧} رواه البخاري في صحيحه، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب: ٤٥/٥، ومسلم برقم: ١٨٠٥ في صحيحه، باب غزوة الأحزاب، والترمذي في سننه، باب مناقب أبي موسى الأشعري، برقم: ٣٨٥٦.